

مذكرات جار الله عمر

## الفصل الثاني

### الدفاع عن الجمهورية

بدأ نشاط حركة القوميين العرب والبعث ينتشر بين الشباب والجيل الجديد، حيث أخذ بعض زملائنا في المدرسة من المتقدمين الذين لهم صلة بحركة القوميين العرب والبعث يتسابقون لكسبنا. أول من اتصل بنا الدكتور محمد عبد الملك العلفي (رئيس مصلحة المساحة حالياً) بالإضافة الى الاستاذ أحمد العماد، وهناك من كان يوزع كتب الإخوان المسلمين، بالذات كتابات محمد قطب وسيد قطب. شخصياً، اتصل بي الأخ العميد محمد محرم في الجيش وأخبرني ان هناك تنظيمياً بإسم حركة القوميين العرب، وانه منتشر في كل الساحة اليمنية، وافكاره قومية عربية وحدوية، لأن الناصرية كان لها صدى كبير ولإذاعة «صوت العرب» تأثير كبير علينا. فضلنا الانتماء الى حركة القوميين العرب، وكان أول شخص أقبله من المدنيين هو الأخ مالك الارياني حيث سلمني له الأخ محمد محرم، والذي بدوره سلمني الى الاستاذ عبد الحافظ قائد، رحمه الله. كان ذلك في نفس عام الثورة ١٩٦٢ وقد إنتظمت في حلقة حزبية مع عدد من الأخوة مثل الدكتور محمد عبد الجبار سلام ومحمد الفضلي وأحمد عبد الله الأنسي. وكان هذا بالنسبة لنا شيئاً جديداً ومهماً، يشعرونا بالتميز، لأننا مختلفون عن الناس العاديين. وكانت حركة القوميين العرب تتبنى الدعوة الى الوحدة القومية والدفاع عن الثورة في اليمن. استمر هذا الوضع فترة من الوقت وبدأنا بكسب زملاء جدد في المدرسة الإعدادية ومن زملائنا في المدرسة الثانوية، ومن بين الذين اتصلنا بهم عبد الرزاق الرفيحي، الله يرحمه، والمحامي أحمد الوادعي وأحمد الشبيبي، واثناء ذلك حاولنا انشاء إتحاد للطلبة، وهو أول اتحاد للطلبة في صنعاء، شارك فيه العديد من الإخوة من ضمنهم الأخ محمد الطيب، احمد الوادعي، علي صلاح، أحمد الشبيبي، صالح الدوشان ومحمود الأشول وعدد كبير ايضاً.

### في كلية الشرطة

استغلينا فرصة تواجدها في الإتحاد، وعملنا على توسيع نشاطنا في أوساط الطلاب لكسب أعضاء جدد إلى حركة القوميين العرب. بعدها بفترة فتحت كليات عسكرية وشرطوية، وكان البعث والبعض من مسؤولي حركة القوميين العرب يتسابقون على استقطاب الطلاب وإحاقهم بها. صدرت إلينا حركة القوميين العرب الأوامر بالإلتحاق بإحدى الكليتين إما الكلية العسكرية أو كلية الشرطة، فاخترت أنا و احمد الأنسي ومحمد الفضلي كلية الشرطة، وانخرطنا فيها عام ١٩٦٥، فيما انخرط آخرون مثل الزميل محمد محرم في الكلية العسكرية. خلال عام ونصف، درسنا على ايدي الخبراء المصريين منهجاً شريعياً مثل العلوم القانونية، القانون الدستوري، القانون المدني وقانون الإجراءات، بالإضافة الى بعض المواد الشرطوية، وخلال الفصل الأول تم اختبارنا وكنتم متفوقاً في الاختبار، فتم ترقيتي الى رتبة طالب ضابط وتوليت قيادة إحدى السرايا، الى جانب حمود زيد عيسى، الذي كان الأول في دفعتنا، وعبد الله صبره وعيدروس السقاف وآخرين.

ومن الأحداث الهامة التي حصلت اثناء دراستنا في كلية الشرطة زيارة جمال عبد الناصر لصنعاء عام ١٩٦٥، وقد أخرج طلاب الكليات لاستقباله، واصطففنا في ميدان التحرير حيث ألقى يومها خطابه الشهير، ثم ألقى الاستاذ محمد محمود الزبيري كلمته، واتي بعد ذلك الاستاذ عبد الله البردوني، الذي ألقى قصيدة شعرية حماسية، من أبياتها التي لا تزال عالقة في ذاكرتي حتى اليوم

تقول من جمال ومن أسمي جمالا  
وشموخاً يسمو على كل فكر  
يا لصوص العروش عيبوا جمالاً

معجزات من المدى تتوالى  
وكل قمة يتعالى  
واخجلوا انكم قصرتم وطال

حفظنا هذه الابيات وشدّت معنوياتنا كثيراً. خلال دراستنا كانت صنعاء تشهد بعض التفجيرات واعمال العنف المتفرقة، كما كان الحصار يشتد من حولها بين حين وآخر، وكان القتال مشتعلاً بين القوات المصرية والجيش اليمني من جانب والقوات الملكية المؤيدة للإمام من جانب آخر، وكنا نكف بين حين وآخر بحراسة شوارع العاصمة ليلاً. وخلال السنوات الأولى لاندلاع الثورة حصلت عمليات قتل كثيرة طالت بعض انصار الإمام وبسبب الاوضاع التي تحملها اية ثورة، قتل الكثير من الوزراء والمسؤولين في عهد الإمام منذ الايام الأولى للثورة، وبعضهم كان لا يستحق الإعدام، ولكن الثورة تكون دائماً اشبه بسيل تجرف ما أمامها. واليوم ينظر الإنسان الى تلك الاعدامات بشيء من الاسف، بل وينظر بأسف الى كل الآثار التي ترتبت على اعمال العنف التي صاحبت الثورة. لكن منهج العنف كان سائداً في اليمن قبل الثورة وبعدها، سواءً من قبل الإمامة او من قبل الثوار. وفيما يتعلق بموقف المجتمع الصناعي من الثورة والقضاء على الإمامة، كان الشباب المتعلم والمنخرط في الأحزاب السياسية يقف الى جانب الثورة، ولكن كان قسم كبير من ابناء صنعاء وخارجها، يؤيد الإمام ولا يرحّب بالثورة. وفي الحقيقة كان إنقسام حقيقي في المجتمع، وإن كان يختلف بين منطقة واخرى، فكان التأييد للثورة كبيراً في مناطق تعز وعدن والمناطق الوسطى والشرقية لكن في المناطق المحيطة بصنعاء كان التأييد للثورة يقتصر على بعض ابناء المشايخ، الذين دخلوا في صدام مع الإمام، وساهم بعضهم في الثورة، بالإضافة الى بعض الضباط الذين انخرطوا في الجيش.

اما سائر المواطنين في المناطق الشمالية، وحتى بعض المواطنين في المناطق الوسطى لم يكونوا يؤيدون الثورة بصورة تلقائية، لكن الأمور كانت تتغير بين يوم وآخر.

### عبد الله السلال ودور المصريين

المشير عبد الله السلال رجل عسكري وطيب القلب وتلقائي، وكان مخلصاً للثورة، واضطلع بأعباء كبيرة اثناء الحرب الأهلية وقيادة المعارك، وكان يتمتع برباطة جأش لأن المعارك كانت مستعرة في كل مكان تقريباً، ولا أظن أحداً كان يستطيع القيام بالدور الذي قام به السلال، لأن الحرب والمعارك ضد الملكيين كانت هي القضية الأساسية، إذ لم يكن هناك في الحقيقة اية اهتمامات أخرى في مضمار التنمية او في أي مجال آخر.

بطبيعة الحال، بدأت تظهر بعد عام او عام ونصف إنقسامات داخل الصف الجمهوري، وكان العديد من شيوخ القبائل والسياسيين يعارضون سياسة السلال، غير اننا في حركة القوميين العرب كنا مناصرين له وللوجود المصري في اليمن، وقد شاركنا تحت قيادة الحركة في العديد من المظاهرات المؤيدة للرئيس السلال والمصريين. وكان العديد من السياسيين، وبالذات الذين لهم صلة بالبعث، يعارضون السلال بالإضافة الى بعض «الاحرار» القدامى، مثل الشهيد محمد محمود الزبيري واحمد محمد نعمان و عبد الرحمن الإيراني، وكانت خلافات الرئيس جمال عبد

الناصر مع البعث في سوريا والعراق تلقي بظلالها على الأوضاع في اليمن، كما هناك أخطاء يرتكبها بعض الضباط المصريين في ادائهم اليومي، وتدخلهم في تفاصيل الحياة اليومية، تؤثر سلباً على وحدة الصف الجمهوري.

لكنني اريد هنا أن أسجل شهادة للتاريخ، وأقول إن الوجود المصري في اليمن قد ساهم الى جانب مشاركتهم في الحرب في خلق نواة الإدارة لأول مرة في اليمن، كما ساهم في انتشار التعليم الإعدادي والثانوي بمناهجه الحديثة، وكان هذا عملاً تحديثياً وحضارياً كانت اليمن بحاجة إليه، لأن التخلف كان شاملاً و متمكناً من كل أوجه حياة البلد.

من المآخذ التي كانت تؤخذ على الرئيس السلال انه اعتمد على المصريين الى درجة أن البعض كان يقول ان القرار السياسي اليمني كان يُتخذ في القاهرة وليس في صنعاء. وهذا صحيح، فالمشير عبد الله السلال اعتمد كثيراً على المصريين ولكنني اعتقد انه كان سياسياً واقعياً، يدرك انه لولا التأييد المصري للثورة، لسقطت في عامها الأول، او الذي يليه، وانه بدون الوجود المصري ما كان للثورة ان تستمر، ولذلك كان البديل للوجود المصري هو تسوية مبكرة مع المملكة العربية السعودية ومع القبائل المحيطة بصنعاء. وهذا ما حدث بعد ذلك، وجميعنا يعرف نتائجه. واذما نظرنا الى تعامل السلال مع القبائل المحيطة بصنعاء لا اعتقاده انها السبب في وقوع العديد من الانتكاسات للثورة، فأنا اعتقد ان هذا أمر كان يعبر عن حالة واقعية، فإذا عدت الى تاريخ اليمن منذ ألف عام، فستجد ان القبائل كانت تصعد إماماً وتُسقط إماماً آخر طبقاً للمصالح.

لعبت القبائل دوراً كبيراً في عدم الاستقرار، وحالت دون ان تنتقل السلطة سلمياً في اي وقت من الاوقات، وكانت الغنيمة هي الاساس في كل ما حصل، وما حدث بعد الثورة لم يكن استثناءً لهذه القاعدة، إلا من حيث وقوف بعض القبائل الى جانب الثورة. فمثلاً قبيلة حاشد وقفت الى جانب الثورة لأن الإمام كان قد قتل مشايخها، وأعدم حسين بن ناصر الأحمر واخاه حميد، أما بقية القبائل، فقد كانت ذات مواقف متنقلة بحسب المصلحة وبحسب تأثير المشايخ، وبحسب الظروف القائمة. بمعنى آخر لم تكن القبائل تحارب عن عقيدة او عن اقتناع لا مع الإمام ولا مع معارضيه، طوال التاريخ.

اما عن دورنا في الأحداث التي ادت الى الانقلاب على الرئيس عبد الله السلال، قبل نوفمبر ١٩٦٧، فقد تخرجنا من كلية الشرطة وتم تعييننا كمدربين في كلية الشرطة، وكلفتنا حركة القوميين العرب بالنشاط في صفوف ضباط الشرطة والطلاب الملتحقين بالكلية، وقد استطعنا كسب عشرات من الضباط. وكان عدد من الضباط المصريين يدرسون في الكلية قد لاحظوا علينا هذا النشاط، فبدأوا يتوجسون منه، ويشكّون بانضمامنا إلى حركة حزبية، وإلتجاه المعمم في اوساط الوجود المصري في اليمن، عسكريين ومدنيين على السواء، هو مناهضة الحزبية. وعندما أيقنت الاستخبارات المصرية واليمنية اننا منخرطون في حركة القوميين العرب، رغم ان عملنا كان سرياً، تم طردنا من كلية الشرطة.

صادف في تلك الفترة ان الخلاف بين حركة القوميين العرب ومصر اخذ يظهر بالتدريج بسبب الأوضاع السائدة في جنوب اليمن، والاختلاف القائم بين جبهة التحرير والجبهة القومية، فبينما كانت حركة القوميين العرب تؤيد الجبهة القومية كانت بعض الاجهزة المصرية تتبنى جبهة التحرير، وتعمل من اجل دمج الجبهة القومية بمنظمة التحرير لتكوين "جبهة التحرير" وكانت الكوادر الاساسية في الجبهة القومية وفرع الحركة في صنعاء تعارض هذا الدمج، وتعتقد ان الجبهة القومية هي صاحبة السبق في الكفاح المسلح، وينبغي لها ان تستمر. ومن هنا بدأت الشكوك تحيط بنا، فتم إبعادنا من سلك الشرطة الى التموين المدني، ولكننا لم نعمل في التموين، لأنه كان مغلقاً، ولم يكن فيه موظفون ولا مكاتب للعمل، يديره الاستاذ علي السنيدار، رحمه الله، بمفرده.

وبعد فترة من الوقت ووساطات عديدة عدنا الى كلية الشرطة، وساهمنا في حرب بني حشيش، حيث كنا من الضباط الذين خرجوا الى هناك وأقمنا فيها معسكراً لفترة، ثم عدنا من جديد الى صنعاء، وفصلنا من الشرطة من جديد.

بالنسبة للنشاطات السياسية التي كنا نقوم بها ودفعت السلطات الى فصلنا من الشرطة، نشاطات كثيرة كلفتنا بها حركة القوميين العرب كما اننا كنا نبادر احياناً بنشاطات اخرى، وقد ساهم كل ذلك في إلقاء الاضواء على تحزبنا او على الاقل وضع علامات الاستفهام حول ذلك حيث كان يُفترض بنا كضباط في الشرطة عدم القيام بأية اعمال ذات طابع سياسي. خلافاً لذلك، كنا نشارك في المظاهرات المختلفة، ونخرج في كثير من الاحيان بملابس مدنية للمشاركة في المظاهرات، وهي مظاهرات تناصر بالطبع النظام الجمهوري والرئيس السلال في مواجهة خصومه ومعارضيه، كما كنا نتبنى قضية الجبهة القومية [في جنوب اليمن] في كل المحافل، ونبدو كمجموعة متجانسة من خلال خطابنا السياسي وعلاقاتنا الاجتماعية بالناس. وقد اكدت هذه النشاطات المنظمة أن مجموعة حركة القوميين العرب كانت تضم أناساً غير عاديين، ولهذا تم التصدي لهذه النشاطات.

### حراسة عبد الفتاح اسماعيل

كان عبد الفتاح اسماعيل قد اعتقلته المخابرات المصرية، كما اعتقلت الى جانبه أنور خالد الذي كان يومها رئيس مؤتمر الخريجين، وأحد زعماء الجبهة القومية، وتم ايصالهما الى صنعاء واودعا الأمن المركزي كمعتقلين، وكان حينها المرحوم علي الواسعي قائداً لقوات الأمن المركزي، وحسين الدفعي وزيراً للداخلية.

وكانت حياة عبد الفتاح اسماعيل وانور خالد معرضة للخطر، على الرغم من ان حكومة السلال، وفيها عبد الغني علي، الله يرحمه، ومجموعة من اعضاء الاتحاد الشعبي كانت تتعاطف معه. غير ان القوات المصرية كانت ضده، وكان انصار جبهة التحرير حينذاك يتواجدون في صنعاء.

في تلك الفترة تم تكليفنا من حركة القوميين العرب بحراسة عبد الفتاح اسماعيل وأنور خالد، وقد كنا نقوم بحراستهما ونحن بملابسنا العسكرية، وقد نستقنا مع الأخ علي الواسعي ليمكننا من الجلوس والخروج معهم عندما يرغبون في الذهاب الى اي مكان، وعلى ما اذكر، فمن بين الذين تولوا هذه المهمة الأخ محمد عبد السلام منصور وناصر السعيد. وذات يوم تعرض عبد الفتاح لوعكة صحية، ونقل الى المستشفى، ولاحظنا ان احدى السيارات كانت تطاردنا في الطريق وتراقب حركاتنا، فنزلنا يومها في أحد الفنادق القريبة من شارع جمال عبد الناصر، وبعد لحظات جاءت مجموعة مسلحة، وبدأوا يسألون عن عبد الفتاح اسماعيل وكان واضحاً انهم يستهدفون اغتياله مع انور خالد، فانتصبنا، ونحن بملابسنا العسكرية، وقلنا لهم اننا مرافقون رسميون لهما، واشرنا الى عبد الفتاح الى الهروب من الباب الآخر للفندق، ثم عدنا الى الامن المركزي.

تعرفنا على عبد الفتاح في السجن، لكن حركة القوميين العرب وقيادتها في صنعاء، من بينهم عبد الحافظ قائد، سلطان أحمد عمر، أحمد قاسم دماج، علي سيف مقبل، عبد القادر سعيد هادي، عبد الرحمن محمد سعيد، مالك الأرياني، كانوا على صلة بالموضوع وبمشكلة عبد الفتاح وكان كثير من المثقفين اليمنيين يزورون عبد الفتاح في سجنه بصنعاء ويدافعون عنه، وقد ادى هذا كله في النهاية الى اطلاق سراحه ورفيقه انور خالد. وقد أثنت حركة القوميين العرب على دورنا في هذه المهمة، واعتبرته دوراً ممتازاً، لأننا أفضلنا خطة مؤكدة لاغتيال عبد الفتاح الذي كان يومها واحداً من اهم رموز الثورة في الجنوب، لكن هذه المهمة كشفت نشاطنا السياسي بشكل

أكبر.

وعبد الفتاح اسماعيل لم يُعتقل في صنعاء بالذات، بل اعتُقل في منطقة قريبة من ماوية بتعز، وقد اتت به المخابرات المصرية الى صنعاء باعتبارها العاصمة، بهدف التحقيق معه في قضية المرحوم علي حسين القاضي. والقوات المصرية تدرك ان هناك خلافاً بين الجبهة القومية وجبهة التحرير، فقد وجدت المخابرات المصرية مسدساً يحمل رقم مسجّل بإسم شخص في الجبهة القومية. بعد ذلك، القي القبض على المرحوم فيصل عبد اللطيف الشعبي، الذي كان المؤسس الأول لحركة القوميين العرب، والقائد البارز في الجبهة القومية، حيث قبض عليه في اطراف محافظة لحج، ثم أرسل الى القاهرة، وكانت سياسة اعتقال قادة الجبهة القومية ومضايقتهم سياسة متبّعة في تلك الايام من قبل القوات المصرية، وقد حاولت حركة القوميين العرب حلّ هذا الموضوع بالتفاوض مع عبد الناصر، لكن النجاح كان محدوداً، اذ لم يكن هناك إمكانية للجمع بين الطرفين. بالنسبة الى عبد الفتاح بعد الإفراج عنه في صنعاء اعتقد انه سافر الى الخارج وبالتحديد الى المجر، ثم عاد بعد ذلك، وعند نشوب الحرب الاهلية في عدن قبل الاستقلال كان متواجداً في مدينة الاسكندرية بمصر، وقد عُيّن بعد ذلك عضواً في الوفد الذي قاد مفاوضات الاستقلال مع الوفد الإنجليزي في جنيف.

### إنقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧

سبق ان اوضحت أنه كانت هناك معارضة دائمة لعدد من الشخصيات اليمينية ضد السلال، تضم بعثيين ويساريين وشيوخ قبائل، وعلى رأس هؤلاء القاضي الأرياني والزييري والنعمان. وبعد ذلك جاءت تطورات كثيرة، كان من ضمنها اتفاقية السلام مع السعودية ومؤتمر حرّض وكانت هناك محاولات لحلّ المشكلة اليمينية، لكنها لم تنجح، فاضطربت العلاقة بين مصر واليمن من جديد، وكانت مصر يومها قد اقتنعت بسحب المشير السلال الى القاهرة، فذهب الاخير الى هناك فتولى محمد الرعيني وبعده العمري القيادة هنا في صنعاء. لكن المصريين أعادوا السلال الى اليمن عام ١٩٦٦ وكانت الحكومة بطبيعة الحال مكوّنة من معارضي السلال وبرئاسة العمري. ومن الطرائف ان أعضاء الحكومة ذهبوا الى مصر مع مجموعة من ضباط الجيش في محاولة لطرح المشكلة على الرئيس جمال عبد الناصر. فصدرت الاوامر باعتقالهم جميعاً في القاهرة، بمن فيهم النعمان، باستثناء القاضي عبد الرحمن الارياي، الذي أنزل في منزل خاص، فيما قبع الجميع في زنازين السجون، وكان هذا خطأً سياسياً فادحاً، يخلو من الذكاء السياسي ومن الفطنة ولا معنى له طبعاً في حكومة السلال التي تشكلت، بعد ذلك حصلت مقاومة، وبعد هذه المقاومة جرت محاكمات وإعدامات ومن ضمن الذين أُعدموا المرحوم محمد الرعيني وهادي عيسى وآخرون، وكان هذا جزءاً من الصراع الذي كان دائراً داخل الصف الجمهوري نفسه.

### الانقلاب على السلال: نقاوم او لا نقاوم؟

بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ رحلت القوات المصرية من اليمن، وقد سبق انقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ في صنعاء مظاهرات في شهر أكتوبر ضد السلال. وفي مؤتمر القمة الذي عُقد في الخرطوم عقب هزيمة ١٩٦٧ اتفق الطرفان المصري والسعودي على انسحاب القوات المصرية من اليمن، على ان توقف السعودية دعمها للملكيين، وبعد ذلك تم اطلاق سراح المعتقلين في القاهرة وعادوا الى اليمن.

وبعد عودة الجميع الى صنعاء قام الرئيس السلال بزيارة العراق والاتحاد السوفيتي، واصطحب معه نائبه اللواء عبد الله جزيلان، وعندما ودّع السلال مودعيه في مطار صنعاء قال

لهم كلمات توحى بأنه ذاهب الى العراق وان الامر متروك لهم، وان الجمهورية في اعناقهم. وكان العائدون من القاهرة قد أخذوا يعدّون للانقلاب ضد السلال، لأنه لم يعد هناك إمكانية للمصالحة بين الخصوم، وهذا ما ينعكس في الواقع حتى اليوم.

الواقع ان المصالحة كانت ممكنة، كان بإمكان الأطراف كلها تشكيل ائتلاف، لأنها كانت في مواجهة خطر خارجي، وكان بالإمكان ان يتم تصالح وتفاهم واعتذار متبادل، والعمل من اجل انقاذ البلاد، لكن للأسف كان موضوع الصراع على السلطة له الأولوية، حيث بدأ التحضير والإعداد للانقلاب يجري بصورة علنية منذ منتصف شهر أكتوبر ١٩٦٧.

وكان موقف حركة القوميين العرب التي ننتمي اليها ضد الانقلاب على السلال، كما كان الشباب المؤيد لمصر والناصريين وبالذات في تعز معارضين للانقلاب واتحاد الشعب الديمقراطي [التنظيم الماركسي برئاسة عبدالله باذيب] يعارض الانقلاب، لكن البعث وبقية القوى السياسية وبعض الضباط والمشايخ، كانوا مؤيدين للانقلاب على السلال. نحن في حركة القوميين العرب ناقشنا هذا الموضوع عند إبلاغنا بموعد الانقلاب قبل يوم واحد وبأنه صار أمراً محتملاً لا مفر منه، وقد عرفنا ذلك من خلال مجموعة من الضباط تنتمي الى الحركة، اصدروا لهم الأوامر بالاستعداد فاتخذنا قراراً بمقاومة الانقلاب، وهذا الشيء يقال لأول مرة.

وقد اتخذ القرار على اثر اجتماع عُقد في منزل المرحوم علي قشعة في صنعاء وهو من ابناء صنعاء، وكان عضواً قيادياً في حركة القوميين العرب، واتخذ هذا القرار بحضور عدد من قادة الحركة، أتذكر منهم عبد الله الأشطل، مالك الارياني، اما عبد الحافظ قائد فكان يومها في الحديدة وسلطان أحمد عمر في عدن وعبد القادر سعيد في تعز. وقد اشترطنا في هذا الاجتماع لكي نقاوم الانقلاب ان يكون هناك استعداد من قبل انصار السلال للوقوف الى جانبنا. وهكذا قررنا الاتصال ببعض الشخصيات من المشايخ والضباط المناهضين للحركة الانقلابية والمؤيدين للسلال، وكان من بين هؤلاء المرحوم مطيع دماج والمرحوم احمد عبد ربه العوافي والشيخ أمين أبو رأس عن طريق الأخ احمد قاسم دماج، كما قمنا بالاتصال بقائد الحرس الجمهوري العقيد القواس، واعطينا تعليمات لبعض الضباط المنتمين للحركة بمحاولة الوصول الى بعض الوحدات العسكرية قبل ان يصل الانقلابيون اليها. وابدى القواس استعداداً للعمل لكن الحرس الجمهوري كان قد تعرض للتفكك بعدما اتصل مشايخ القبائل كلّ بأصحابه.

ولعب الشيخ احمد علي المطري، الله يرحمه، دوراً كبيراً في الاتصال ببعض منتسبي الحرس من أبناء بني مطر، كما جرى الاتصال ايضاً بالقواس، وقال له ان المقاومة ستكون غير ناجحة. لقد كانت القوى التي نفذت الانقلاب على السلال مزيجاً من الثوار الجمهوريين والقوى التقليدية ومن الحزبيين ايضاً، ولكنها غير متماسكة، فما كان يجمعها في الانقلاب هو الرغبة في التخلص من السلال. كان الذين ينتمون الى ثورة سبتمبر ومن ينضوي تحت لواء حزب البعث يرون في الانقلاب نوعاً من انواع التصحيح للثورة سيخلق تماسكاً في الصف الجمهوري ويفتح آفاقاً أكبر للتطور. اما القوى التقليدية فكانت تريد ان تعود بالثورة الى الوراء، وان تنتزع السلطة من ايدي القوى الحديثة، والسيطرة على النظام، بل والتخلص من الصف الجمهوري والحزبي في اقرب فرصة وهو ما حدث فعلاً بعد الانقلاب.

وعن سبب تراجعنا في اللحظات الاخيرة عن مقاومة الانقلاب، فقد اجتمعنا في الساعة الحادية عشرة من مساء ٤ نوفمبر، قبل الانقلاب بساعات قليلة، واستعرضنا الوضع من جديد ومدى قدرة قواتنا على التصدي للانقلاب ومدى قدرة المشايخ المؤيدين للسلال إيصال بعض القبائل الى صنعاء في الوقت المناسب، فوجدنا الإمكانيات ضعيفة، وان الوقت كان قد تأخر، خصوصاً بعدما ذهب ناصر السعيد وعبد الكافي عمر الى قوات المدرعات ووجد الضباط

المناوئين للسلال قد سبقوهم الى نفس المكان. ولهذا اتخذنا قراراً عند الساعة الحادية عشرة والنصف بالامتناع عن مقاومة الانقلاب والاكتفاء بمقاومته سياسياً، كما قررنا ان يختفي بعض القادة البارزين حتى لا يتعرضوا للاعتقال.

أما بخصوص التظاهرات التي سبقت الانقلاب، قمنا بتنظيم مظاهرة يوم الثالث من اكتوبر، بهدف الدفاع عن الثورة وتأييد الرئيس السلال ولكن التظاهرة في الواقع قد أسهمت في إضعاف نظام السلال، ومهدت لإنقلاب ٥ نوفمبر، سواءً اردنا ذلك ام لم نرد، خصوصاً وان المظاهرة ادت الى تغيير الحكومة والى اعتقال بعض من انصار السلال وبعض الضباط، من ضمنهم عبد القادر الخطري ومحاكمته بعد ذلك، بتهمة اطلاق النار على المتظاهرين يوم ٣ اكتوبر، باعتباره كان يقود الأمن المركزي. ولكنني وهذه شهادة للتاريخ أريد القول ان العقيد الخطري لم يطلق النار على المتظاهرين إطلاقاً، وانه قد حكم عليه ظلماً، لأن الخطري كان محسوباً على المصريين وكان قد دخل في صراعات مع بقية الجماعات، ولذلك اعتُقل وحوكم بتهمة التصدي للمتظاهرين واطلاق النار عليهم.

لم تتصل الحركة بالسلال لأنه كان في زيارة الى بغداد والاتصال به غير ممكن، كان آخر لقاء للحركة بالرئيس السلال في ٣ أكتوبر ويومها قابلناه وتحدثنا معه حول الاوضاع، وفي نفس اليوم اقال الحكومة وعيّن حكومة جديدة. ونحن وإن ساهمنا في تظاهرة اكتوبر بنوايا حسنة، لكن موضوعياً ادت هذه المظاهرة الى التسريع بوقوع الانقلاب ضد السلال. وبخصوص التهم الموجهة للرئيس السلال أنه تعاون مع المصريين على تصفية الكثير من الثوار، انا لا اتصور انه يتحمل مسؤولية في هذا المجال. كانت الحرب تؤدي تلقائياً إلى ممارسة العنف هنا وهناك، فالصراع بين الملكيين والجمهوريين حصد عشرات الألوف من الضحايا، كما ان الصراع داخل النظام الجمهوري ادى الى سقوط ضحايا ايضاً. ألحقت هذه الصراعات باليمن ضرراً بالغاً وأوقفت عملية التنمية، وسخرنا كل جهودنا للصراع السياسي العنيف، ولو لم نفعل ذلك لكانت حياتنا اليوم أفضل.

## حصار صنعاء

استمرت الأوضاع بعد الانقلاب في توتر وقلق دائمين، ويومها كان الاستاذ محسن العيني رئيساً للحكومة، والملكيون من جانبهم يعدّون العدة للاستيلاء على صنعاء. وفي بداية ديسمبر من العام ١٩٦٧ كنت في الحديدة، وحاولت العودة الى صنعاء، فقبل لنا ان الطريق الحديدة - تعز قد قُطعت، وطلب منا الذهاب الى القوة هناك لفك الطريق، وقد استقبلنا قائد القوة عبد العزيز البرطي ومجموعة من الضباط، وفي غضون اسبوع تم فتح الطريق واستعادة الأمن في المنطقة. بعدها بأيام بثت إذاعة صنعاء خبر استقالة الاستاذ محسن العيني وتكليف الفريق حسن العمري بتشكيل الحكومة وقيادة القوات المسلحة. علمنا بعدها ان طريق صنعاء-الحديدة قد قُطعت، فعدنا الى الحديدة ومنها ركبنا طائرة أنتينوف يقودها الطيار الكميم [؟] يرافقتي الشهيد عبد السلام الدميني، وكان المطار يومها آمناً لهبوط الطائرات.

وكان طلاب كلية الشرطة والعديد من الضباط موجودين في مطار الرحبة مكلفين بالدفاع عن المطار، وحدث ان حصل خلاف بين الطلاب الذين ينتمي معظمهم الى حركة القوميين العرب ثم الى الحزب الديمقراطي الثوري بعد ذلك. وكان يومها العميد يحيى الراذعي ومحمد خميس يقودان طلاب الكلية في المطار، فتمرد عليهم الطلاب، ما تم استدعاؤنا الى وزارة الداخلية من قبل العميد عبد الله بركات، مع مجموعة من الزملاء، وطلب منا العودة الى عملنا، على الرغم من اننا

كنا مفصولين من الشرطة، وان نذهب الى المطار ضمن القيادة الجديدة التي تشكلت لطلبة كلية الشرطة، وتكونت من العميد حسين صالح الخولاني وعلي الحيمي وعلي الواسعي وعبد الله يحيى الشامي وعبد الله محمد العلفي ومحمد البردي وعبد الرحمن البردي ومحمد الأنسي وجاد الله عمر وعدد آخر من الضباط لم أعد أتذكرهم.

وعند انتقالنا الى المطار كان الحصار على المدينة قد استكمل بعد انسحاب قوات المظلات من منطقة متنة والمناطق المجاورة لها لغرض بناء دفاعات حول العاصمة. بعد الحصار، وجدت صنعاء نفسها معزولة عن كل مناطق اليمن، وادى الحصار الى خلق جبهة وطنية عريضة، انخرطت فيها سائر القوى الوطنية في المعركة.

صحيح ان وحدات الجيش والمقاومة الشعبية كان لها الدور الأساسي في فك الحصار عن صنعاء، لكن بقية فئات المجتمع لعبت دوراً كبيراً في المعركة بما في ذلك سكان العاصمة صنعاء. وحد الحصار صفوف القوى والاحزاب المختلفة بما فيها حزب البعث والحزب الديمقراطي الشعبي فيما بعد، والماركسيين ايضاً بقيادة عبد الله صالح عبده، حيث كوّنوا المقاومة الشعبية لحماية العاصمة وللإشراف على توزيع المؤن على السكان. ومن ابرز قادة المقاومة الشعبية يحيى الشامي، سيف أحمد حيدر، مالك الأرياني، عمر عبد الله الجاوي، علي مهدي الشنواح وغيرهم. وقد تناسى الجميع في تلك المحنة خلافات الماضي كله، وتوجهوا جميعاً لخوض المعركة، وقد كان حماس الناس لفك حصار صنعاء كبيراً عند الجميع، وفي الحقيقة لم يكن امام المحاصرين سوى القتال حتى آخر لحظة.

### النجدة من الجنوب ومن السوفييت

ظلت صنعاء تُقصف لمدة شهر تقريباً، وبعدها اعتاد الناس على القصف وكيفوا حياتهم بناء عليه، وكانت معارك قائمة على طول الجبهة حول صنعاء فيما الشيخ سنان ابو لحوم يعمل على توفير الدعم للعاصمة عن طريق الطائرات قبل ان يُقصف المطار ويتم تدميره. وكان للأخ محمد الأرياني وللشيخ احمد عبد ربه العوافي دور كبير في حشد المقاتلين من المناطق المختلفة والهجوم لفك الحصار، وكذلك الدور القيادي لحسن العمري وعبد الرقيب عبد الوهاب. كما ان الدعم القادم من الجنوب كان احد العوامل التي ادت الى النجاح في فك الحصار عن صنعاء. فبعد استلام الجبهة القومية للحكم في الجنوب عملت على ارسال المساعدات من الذخائر والمواد الغذائية للمقاومة الشعبية، وكان المرحوم سعيد عبد الوارث الإبي على رأس الذين يأتون لتسليم هذا الدعم مع مناضلين آخرين.

وكان هناك دعم خارجي ايضاً، فقد وقفت روسيا الى جانب النظام الجمهوري وإرسالت طائرات الى الحديدة، شاركت في المعارك وخصوصاً المعارك الليلية. وأتذكر ان احد الطيارين الروس سقط في منطقة جحانة. كما أتذكر انه في احدى الليالي استطاع الملكيون اختراق صفوف النظام الجمهوري فوصلوا الى باب الشعوب، وتجاوزوا قرية الدجاج، لكن الطيران الروسي قام من الحديدة في الليل وقصف القوات الملكية في المناطق التي احتلوها، وقواعدها الخلفية في جبل الطويل، ما ارغمهم على التراجع. وفي مجال الدعم الخارجي كان هناك ايضاً دعم من سورية التي ارسلت عشرة من خيرة طياريهها، وقدمت الجزائر دعماً بمليون دولار، فيما ارسلت مصر كميات من الذخائر والمواد التموينية عن طريق الحديدة.

كل هذه العوامل اسهمت في فك الحصار عن صنعاء، وبطبيعة الحال فالحصار ادى الى وقوع خسائر كبيرة في صفوف الجميع، واذا كنا اليوم نشعر بالاعتزاز والفخر لمشاركتنا في هذه المعركة وانتصارنا فيها فإننا نشعر ايضاً بالأسف لسقوط الضحايا من الطرفين، ونستطيع القول ان

الإنسان كان يتمنى ان لا تحدث المعركة، ولكن التاريخ ليس فيه "لو."

## الصراع داخل الصف الجمهوري

أحداث اغسطس ١٩٦٨ "مأساة جمهورية" تدل على ان العنف عندما يسود المجتمع يتحول الى قانون يستخدمه طرف ضد طرف، ثم يستخدمه الطرف ضد بعضه.

كان هناك قتال وصراع بين الجمهوريين والملكيين، ثم قتال وصراع داخل الصف الجمهوري وصراع داخل الصف الملكي، واحداث اغسطس ١٩٦٨ ذات دلالة على عدم النضج السياسي وسيادة العاطفة والرغبة الثورية المتأججة في تحقيق الانتصار بالقوة، كما انها صراع على السلطة ايضاً. ادت معركة حصار صنعاء الى بروز قوى حديثة تمثلت في المقاومة الشعبية وفي القادة العسكريين الشباب الذين تولوا قيادة الوحدات العسكرية، امثال عبد الرقيب عبد الوهاب، عبد الرقيب الحربي، علي مثنى جبران، محمد صالح فرحان، حمود ناجي سعيد، وقد ادى ذلك تلقائياً الى ما يمكن اعتباره ازدواجية في السلطة بين القوى الجديدة المتمثلة بـ"المقاومة الشعبية" وبين اجهزة السلطة الأخرى المختلفة.

هذه الازدواجية كانت مدعمة بخلفية فكرية وسياسية. كان البعث يقف في جانب وحركة القوميين العرب واليسار عموماً في جانب آخر. تداخلت في هذا الموضوع عوامل مختلفة منها جغرافية ومذهبية. كنا نحن الضباط الصغار متحمسين، سريعي الانفعال، أقل صبراً وأكثر طموحاً وكان الصف الباقي من الضباط الكبار لا يطبقون نزق هذا الجيل الجديد، ويتوجسون خيفة من اندفاعاتهم. ودخلت القوى والاتجاهات السياسية لتخلق استقطاباً في هذا الامر، وتحوّل التعامل مع الملكييين الى مادة جديدة في الصراع. كان السياسيون في الحكم يعملون من اجل التفاهم والمصالحة مع بقايا الصف الملكي المهزوم ويمدّون صلاتهم مع بعض المشايخ، امثال قاسم منصر. فكانت مكاتبات مع هؤلاء المشايخ للعودة شرط استبعاد أسرة آل بيت حميد الدين، بالاضافة الى اتصالات مع السعودية بغرض الوصول الى حل سلمي للمشكلة، خصوصاً بعدما حسمت معركة صنعاء. وكان الطرف الجمهوري المتشدد، الذي تمثله حركة القوميين العرب واليسار عموماً وصغار الضباط في الجيش والشرطة يرفضون هذه الاتصالات، ويعتبرونها عملاً معادياً للنظام الجمهوري.

نشبت هذا الصراع بعد التأكد من ان الطرف الملكي قد هُزم، فصار الصراع على السلطة يتحكم بسلوك القوى السياسية المختلفة. واشتد الصراع بعدما شعرت القوى التقليدية ان القوى السياسية الجديدة صارت تهدد بقائها في السلطة. وجاءت قضية الدبابات السوفيتية لليمن لتثير ازمة دارت مدار الى اين ستذهب الدبابات. كان عبد الرقيب عبد الوهاب يريد ان تصل الى الاركان في صنعاء، والفريق حسن العمري يريد ان تبقى تحت سيطرته. وتدخلت المقاومة الشعبية في الموضوع، لكن مقر المقاومة في الحديدة ضرب من قبل سلاح المدرعات، تلى ذلك قرار حلّ المقاومة الشعبية، وبعدها اصدر الفريق حسن العمري قراراً بإعفاء علي مثنى جبران، قائد سلاح المدفعية، واحد ابطال معركة فك الحصار عن صنعاء، من منصبه، وهنا بدأت الامور تتخذ منحى آخر.

كانت القوى الجديدة تريد الدفاع عن مواقعها، على اعتبار انها لعبت دوراً رئيساً في فك الحصار، وان من حقها المشاركة في القرار السياسي، وان تُستشار في كل الأمور. والقوى الأخرى ترى ان هؤلاء شباب متطرفون وان دورهم بعد الآن سيكون ضاراً ولا بد من تصفيتهم. وأعترف اليوم اننا كنا نحن الشباب نفتقر حيثها الى القدر الكافي من التجربة والحكمة والعبر، فقد كان الكثير من الصف الآخر الذين اختلفنا معه حلفاء لنا. كما كان الصراع الذي كان قائماً بين

حركة القوميين العرب وحزب البعث لعب دوراً كبيراً في هذه العملية.  
وكما هو معروف، نشبت معركة كبيرة داخل صنعاء يومي ٢٣، ٢٤ اوغسطس ١٩٦٨  
حيث تمكنت القوى التقليدية من هزيمة القوى الجديدة، وحسمت قضية ازدواجية السلطة لصالحها.  
وتم اعتقال اعضاء حركة القوميين العرب واليسار بالاضافة الى ممثلي الفئات الرأسمالية، مثل  
احمد شمسان، وسلام علي ثابت وآخرين، فيما ارسل عدد آخر من الضباط الى الجزائر، وكان هذا  
الحسم يؤدي لصراعات لاحقة. ولوحق بعد ذلك اعضاء الحزب الديمقراطي الثوري، الذي كنا  
شكّلناه في العام ١٩٦٨ فهرب عدد كبير منهم الى المناطق الريفية و عدن.  
في اعتقادي ان الخاسر كان اليمن والنظام الجمهوري، لأن النظام الجمهوري أثبت ان  
الجمهوريين لا يستحقونه، وانهم ليسوا على قدر من الرؤية والبعد الاستراتيجي، فقد كان من  
الافضل ان ينظروا الى ما يعملون بعد كل هذه الحرب من تضמיד الجراح. طبعاً يمكن القول ان  
التفكير بالتصالح والسماح للملكيين بالعودة كانت فكرة صحيحة لأن هؤلاء مواطنون يمنيون وكان  
يجب حل القضية سلمياً، لأن الحل العسكري لا يمكن أن يحلّ اي شيء.